

التسهيل لعلوم التنزيل

@ 195 @ به ! 2 2 ! فيها سؤالان الأول كيف قال وإن تغفر لهم وهم كفار والكفار لا يغفر لهم والجواب أن المعنى تسليم الأمر إلى الله وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه لأن الخلق عباده والمالك يفعل في ملكه ما يشاء ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار وإنما يقتضي جوازها في حكمة الله تعالى وعزته وفرق بين الجواز والوقوع وأما على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء فلا إشكال لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة وكانوا حينئذ أحياء وكل حي معرض للتوبة السؤال الثاني ما مناسبة قوله فإنك أنت العزيز الحكيم لقوله وإن تغفر لهم والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل فإنك أنت الغفور الرحيم والجواب من ثلاثة أوجه الأول يظهر لي أنه لما قصد التسليم والتعظيم له كان قوله فإنك أنت العزيز الحكيم أليق فإن الحكمة تقتضي التسليم له والعزة تقتضي التعظيم له فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد ولا يغلبه غيره ولا يمتنع عليه شيء أرادته فاقضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم لمغفرة لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته وأيهما فعل فهو جميل لحكمته الجواب الثاني قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير إنما لم يقل الغفور الرحيم لئلا يكون في ذلك تعريض في طلب المغفرة لهم فاقصر على التسليم والتفويض دون الطلب إذ لا تطلب المغفرة للكفار وهذا قريب من قولنا الثالث حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء في وقته حازم بن حازم أنه كان يقف على قوله وإن تغفر لهم ويجعل فإنك أنت العزيز استئنافاً وجواب إن في قوله فإنهم عبادك كأنه قال إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال ! 2 2 ! عموم في جميع الصادقين وخصوصاً في عيسى ابن مريم فإن في ذلك إشارة إلى صدقه في الكلام الذي حكاه الله عنه وقرأ غير نافع هذا يوم بالرفع على الابتداء أو الخبر وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان أحدهما أن يكون يوم ظرف لقال فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول وإنما معموله هذا خاصة والمعنى قال الله هذا القصص أو الخبر في يوم وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام والآخر أن يكون هذا مبتدأ ويوم في موضع خبره والعامل فيه محذوف تقديره هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم ولا يجوز أن يكون يوم مبنياً على قراءة نافع لأنه أضيف إلى معرب قاله الفارسي والزمخشري .

تم الجزء الأول .

ويليه الجزء الثاني وأوله سورة الأنعام